٩

سلسلة
قصص الأنبياء

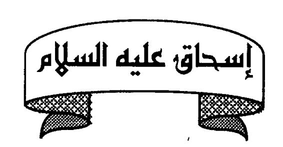
إسحاق ويعقوب عليهما السلام

تأليف
الشيخ /بكر محمد إبراهيم

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده
خلف الجامع الأزهر ت ٥١٠٩٨٨٧

رقم الإيداع	١٨١٩٠ / ٩٩
ترقيم دولي	977-5096-61-8





ورد ذكـر إسحـاق عليـه السلام فـي عدة آيات من القـرآن الكريم:

يقول تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ .

[هود : ٦٩ - ٧٣] .

والرسل هنا هم ملائكة من عند الله تبارك وتعالى جاءوا إلى إبراهيم عليه السلام يبشرونه ، والبشرى هي الإخبار بأمر سار لم

يأت وقت الكلام وإنما يأتي فيما بعد ، قالوا سلامًا أي ألقوا عليه السلام والسلام تحية أبينا آدم وتحية أهل الجنة وتحية الرسل والأنبياء وتحية أمة محمد ﷺ وهو التحية التي يحيي بها الملائكة أهل الجنة يوم القيامة كما قال تعالى ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ والسلام أيضًا تحية الله تعالى لأهل الجنة يوم القيامة يقول تعالى : ﴿ **تحيتهم يوم يلقونه سلام** ﴾ والسلام اسم من أسماء الله تعالى فهو السلام أي المسلم والمؤمن لعباده المؤمنين فالسلام هو الأمان فرد عليهم إبراهيم عليه السلام التحية بمثلها .

فما مكث إلا قليلاً حتى جاء إليهم بعجل سمين مشوي فقدمه إليهم ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه أي لا يأكلون ، من طعامه أحس منهم خوفًا لأن عادة المحبين وأهل السلام أن يشارك بعضهم بعضًا في الطعام أما من استحكمت عداوته فلا يؤاكل عدوه . فطمأنوه وهدأوا من روعه - خوفه وفزعه - قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط أي لإهلاكهم لأنهم كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء أي يجعلون الرجل بديلاً عن المرأة في العلاقة الزوجية .

وكانت سارة زوجة إبراهيم عليه وعليها السلام واقفة بالقرب من هؤلاء الأضياف فضحكت من البشرى بولادة إسحاق لأنها كانت عجوزاً عقيمًا جاوزت التسعين قالت : يا ويلتا وهو لفظ

يراد به شدة التعجب أألد وأنا عجوز وهذا مخالف لقانون الإنجاب وأيضًا فزوجها إبراهيم عليه السلام كان شيخًا كبيرًا تجاوز المائة إن هذا لشيء عجيب . قالوا لا عجب من أمر الله فإن الله على كل شيء قدير وهو سبحانه يفعل ما يريد ولا تقف القوانين أمام قدرته ومشيئته فهو سبحانه وتعالى خالق القوانين والسنن وخالق كل شيء ولا يعجزه شيء سبحانه وتعالى . ثم سلم عليها الملائكة سلامًا يتضمن تحية بالأمان والرحمة على آل بيت إبراهيم عليه السلام وهم إبراهيم وسارة وهاجر وإسماعيل ولوط نبي الله ابن أخي إبراهيم عليهم السلام .

ثم يذكر الله تبارك وتعالى نفس القصة بألفاظ مغايرة تعطي لمحات ولقطات جديدة .

يقول تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾** ﴾ [الذاريات : ٢٩] .

وفي هذه الآيات لقطات جديدة تنبئ بسؤال للنبي محمد ﷺ تقول : هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ولم يكن النبي ﷺ يعلم هذا الحديث ولكن الله تعالى أخبره به فالنبي ﷺ لم

يكن يجلس إلى معلم ولم يكن قرأ كتب أهل الكتاب بل كان أميًا، وأخبار الله تعالى هي أصدق الأخبار وحديثه سبحانه وتعالى أصدق الحديث .

وعند سلام الملائكة على إبراهيم رد عليهم وأخبرهم أنه لا يعرفهم -منكرون - ليعرفوه بأنفسهم ، فراغ إلى أهله أي فتسلل خفية في سرعة ليجهز الطعام للضيفان ، وهذه عادة الكرماء من الناس يفاجئون الضيف بالطعام ولا يسألونه أتأكل أم لا كي لا يتحرج الضيف ويدعي الشبع .

وهذه الآيات وصف من الله تعالى على لسان ملائكته لإسحاق بأنه عليم وعليم صيغة مبالغة من علم وهنا لقطة جديدة عن الآيات السابقة فأقبلت امرأته في صرة أي في ضجة من شدة التعجب والصرة من الصرير وهو صوت فتح الباب فصكت وجهها أي فضربت على جبهتها بباطن الكف من الدهشة وهذا الفعل يفعله الإنسان إذا اشتدت حدته ودهشته وعجبه وهي غير اللطم المحرم.

ويضيف رب العزة تبارك وتعالى إسحاق بصيغة أخرى يقول تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات : ١١٢] أي صالحًا .

ويقول تعالى في شأن إسحاق : ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ

إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: ١١٣] . أي باركنا على إبراهيم وعلى إسحاق عليهما الصلاة والسلام .

ويقول تعالى في سورة مريم مخبرًا بنبوة إسحاق ونبوة يعقوب ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾

[مريم : ٤٩] .

* زواج إسحق عليه السلام :

قام إسحاق برحلة إلى بابل في العراق موطن أبيه الأول وهناك تزوج من فتاة قريبة له ، وعاد بها إلى فلسطين ، وكان ذلك قبل وفاة أبيه إبراهيم .

ولقد حمل إسحاق عليه السلام أعباء النبوة بعد أبيه والدعوة إلى الله ، فقام في شعبه وقومه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليمهم دين الله وشريعته وسار بهم على صراط مستقيم يحذر وينذر يرشد ويبشر ويعلم .

ولم تكن النبوة قد انتقلت إليه بعد أبيه إبراهيم بحكم الإرث (الميراث) أو الوصية .

ولكن بتوجيه من الله تبارك وتعالى . ولقد كان إسحاق عليه السلام خير خلف لخير سلف .

وذلك في حدود ونطاق أرض - حبرون - وما حولها دونما اتساع أو توسع كما كان إسماعيل عليه السلام يقوم بنفس المهمة في برية فاران في أرض الحجاز ، ويرسي قواعد التوحيد ومكارم الأخلاق في نفوس الناس ووجدانهم وعقولهم ، وهكذا حمل أبناء إبراهيم عليه السلام رسالة أبيهم بإخلاص وصدق وأمانة وسيأتي الكلام بعد ذلك عن نبي الله يعقوب عليه السلام ابن نبي الله إسحق .

وكانت البشارة من الملائكة لإبراهيم وسارة لما مروا بهم مجتازين ذاهبين إلى مدائن قوم لوط، ليدمروا عليهم لكذبهم وفجورهم.

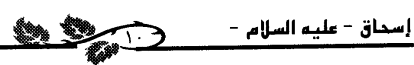
يقول العلامة ابن كثير: يذكر الله تعالى : أن الملائكة قالوا وكانوا ثلاثة : جبريل وميكائيل وإسرافيل لما وردوا على الخليل حسبهم أولاً أضيافًا ، فعاملهم معاملة الضيوف وشوى لهم عجلاً سمينًا من خيار بقره فلما قربه إليهم وعرضه عليهم لم ير لهم همة إلى الأكل بالكلية وذلك لأن الملائكة ليس فيهم قوة الحاجة إلى الطعام فنكرهم إبراهيم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط أي لندمر عليهم ، فاستبشرت عند ذلك سارة غضبًا لله عليهم ، وكانت قائمة على رءوس الأضياف كما جرت به عادة الناس من العرب فلما ضحكت استبشارًا بذلك ،

قال الله تعالى ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ أي بشرتها الملائكة بذلك فأقبلت امرأته في صرة ، أي في صرخة فصكت وجهها أي كما يفعل النساء عند التعجب وقالت : يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخًا أي كيف يلد مثلي وأنا كبيرة وعقيم أيضًا ، وهذا بعلي أي زوجي شيخًا تعجبت من وجود الولد والحالة هذه ، ولهذا قالت : ﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ .

وكذلك تعجب إبراهيم عليه السلام استبشارًا بهذه البشارة وتثبيتًا لها وفرحًا بها قال : ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ وأكدوا الخبر بهذه البشارة وقرروه معه ، فبشروهما بغلام عليم ، وهو إسحاق أخو إسماعيل ، غلام عليم مناسب لمقامه وصبره وهكذا وصفه ربه بصدق الوعد والصبر .

وقال في الآية الأخرى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ .

وهذا مما يستدل به محمد بن كعب القرظي وغيره على أن الذبيح هو إسماعيل ، وأن إسحاق لا يجوز أن يؤمر بذبحه بعد أن وقعت البشارة بوجوده ووجود ولده يعقوب المشتق من العقب بعده .



عند أهل الكتاب :

وأبارك عليها وأعطيك منها ابنًا وأباركه ويكون الشعوب وملوك الشعوب منه ، فخر إبراهيم على وجهه - يعني ساجدًا - وضحك قائلاً في نفسه : أبعد مائة سنة يولد لي غلام ؟ أو سارة تلد وقد أتت عليها سبعون سنة ؟

وقال إبراهيم : ليت إسماعيل ليس قدامك ، فقال الله لإبراهيم بحق إن امرأتك سارة تلد لك غلامًا وتدعو اسمه إسحاق إلى مثل هذا الحين من قابل - العام القادم - وأوثقه ميثاقي إلى الدهر وخلفه من بعده ، وقد استجبت لك في إسماعيل وباركت عليه وكثرته ونميته جدًا ، ويولد له اثنا عشر عظيمًا وأجعله رئيسًا لشعب عظيم فقوله تعالى : ﴿ **فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** ﴾ دليل على أنها تستمتع بوجود ولدها إسحاق .

ثم من بعده يولد ولده يعقوب ، أي يولد في حياتهما لتقر أعينهما به كما قرت بولده ، ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التنصيص عليه من دون سائر نسل إسحاق فائدة .

ولما عين بالذكر دل على أنهما يتمتعان به ويسران بمولده كما سرا بمولد أبيه من قبل .

وقد أسس إسحاق عليه السلام المسجد الأقصى بعد أن أعاد أبوه إبراهيم وأخوه إسماعيل بناء البيت الحرام بأربعين سنة ، فعن أبي ذر . قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال «**المسجد الحرام** » قلت: ثم أي ؟ قال : « **المسجد الأقصى** » قلت: كم بينهما ؟ قال : « **أربعون سنة** » قلت : ثم أي ؟ قال : « **ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد** » .

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ .

القول بأن إسحاق عليه السلام هو الذبيح قول باطل مأخوذ من اليهود لأنهم يحسدون العرب والمسلمين ويريدون أن يستأثروا

بهذا الشرف وهو أن يدعوا بأن الذبيح هو إسحاق ، والصحيح أن إسماعيل عليه السلام هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم فإن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه البكر ومن المعلوم أن البكر هو إسماعيل .

وفي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب : « اذبح ابنك إسحاق» وهذه الزيادة من تحريفهم كما يقول شيخ الإسلام العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى لأنه تناقض مع قوله : اذبح بكرك ووحيدك .

والله تعالى يقول : ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود : ٧٠ - ٧١] .

ويعقوب هو ابن إسحاق ومحال أن يبشرها بأن يكون لها ولد ثم يأمر بذبحه ولا ريب - لا شك - أن يعقوب عليه السلام داخل في البشارة فتناولت البشارة إسحاق ويعقوب في لفظ واحد، والبشارة قول سار صادق .

يقول تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

[الصافات : ١٠٣ - ١١١] .

ثم قال تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات : ١١٢] .

فهذه بشارة من الله تعالى له شكرًا على صبره على ما أمر به وهذا ظاهر أن المبشر به غير الذبيح .

وأيضًا : فلا ريب أن الذبيح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها ، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرًا لشأن إسماعيل وأمه ، وإقامة لذكر الله ، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذي اشترك في بنائه إبراهيم وإسماعيل .

وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذي كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل زمانًا ومكانًا ، ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم ، لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة .

وأيضًا : فإن الله سبحانه سمى الذبيح حليمًا لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه ، ولما ذكر إسحاق سماه عليمًا .

فقال تعالى :

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[الذاريات: ٢٤ - ٢٥] .

وهذا إسحاق بلا ريب لأنه من امرأته ، وهي المبشرة به ، وأما إسماعيل ، فمن جاريته ، وأيضًا فإنهما بشرا به على الكبر ، واليأس من الولد وهذا بخلاف إسماعيل فإنه ولد قبل ذلك .

وأيضًا : فإن الله سبحانه وتعالى أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده .

وإبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد ، ووهبه له ، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته .

والله تعالى قد اتخذه خليلاً ، والخلة منصب يقتضى - يستلزم - توحيد المحبوب بالمحبة وأن لا يشارك بينه وبين غيره فيها، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنزعها - تخلعها - من قلب الخليل ، فأمره بذبح المحبوب ، فلما أقدم على ذبحه .

وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد ، خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة ، فلم يبق في الذبح مصلحة ،

إذ كانت المصلحة هي في العزم وتوطين النفس عليه ، فقد حصل المقصود ، فنسخ - أزيل - الأمر وفدى الذبيح ، وصدق الخليل الرؤيا ، وحصل مراد الرب .

ومعلوم أن هذا الامتحان والاختبار إنما حصل عند أول مولود، بل لم يحصل عند الولد الآخر من مزاحمة الخلة ما يقتضي الأمر بذبحه . وهذا في غاية الظهور .

وأيضًا فإن سارة امرأة الخليل عليه السلام غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة فإنها كانت جارية .

فلما ولدت إسماعيل وأحبه أبوه ، اشتدت غيرة سارة ، فأمر الله سبحانه أن يبعد عنها هاجر وابنها ويسكنها في أرض مكة لتبرد عن سارة حرارة الغيرة ، وهذا من رحمة الله ورأفته فكيف يأمره سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها ويدع ابن الجارية بحاله، هذا مع رحمة الله لها وإبعاد الضرر عنها ، وجبره لها ، فكيف يأمره بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية ، بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية الجارية فحينئذ يرق قلب السيدة عليها وعلى ولدها ، وتتبدل قسوة الغيرة رحمة ، ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها ، وليرى عباده جبره بعد الكسر ولطفه بعد الشدة ، وأن عاقبة هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطئ أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم إلى يوم القيامة ، وهذه سنة الله - طريقة الله -

فيمن يريد رفعه من خلقه أن يمن عليه بعد استضعافه وذله وانكساره .

قال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ .

[القصص : ٥] .

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴿ **والله ذو الفضل العظيم** ﴾ .

هذه قصة إسحق عليه السلام وفيها تحقيق بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وكيف أن الله عز وجل قد بارك في هذه الأسرة الكريمة وجعلهم أئمة يهدون بأمر الله جزاء صبرهم ويقينهم وجهادهم وإخلاصهم ومبادرتهم إلى طاعة الله سبحانه وتعالى .

* زواج إسحاق :

تزوج إسحاق من ابنة بتوئيل بن ناحور حيث أوصى إبراهيم عليه السلام لما كبر عبده (لعازر) وأحلفه على أنه يأخذ لابنه إسحاق زوجة من عشيرته وبني أبيه فذهب ذلك العبد وهيأ - جهز - ما يصلح أن يكون هدية للزوجة وأخذ من الجمال

والأموال ما أحب وذهب إلى آرام وأناخ جماله خارج المدينة التي بها أسرة ناحور - أخي إبراهيم - وإذا هو بفتاة حسنة المنظر خرجت من المدينة وجرتها - إبريق - على كتفها فملأت الجرة فقال لها العبد : اسقني فأنزلت الجرة وأعطته إياها ليشرب وقالت استقي لجمالك أيضًا فتفرس فيها إلى أن فرغت من سقي الجمال وحلى أنفها بخزامة من ذهب - حلية - ويديها بسوارين من الذهب وسألها بنت من هي وهل عند أبيها مكان لمبيت جماله ، فأخبرته بأنها بنت بتوئيل بن ناحور وأن عندهم مبيتًا وعلفًا لماشيته وأسرعت إلى البيت وأخبرت بما رأت وكان اسم الفتاة رفقة ، وقام لابان بن بتوئيل في الحال إلى حيث عبد إبراهيم وأضافه وأكرم مثواه ، وفي الحال أخبرهم عبد إبراهيم بما جاء لأجله وأنه يريد رفقة لابن سيده فأجابوه إلى ما طلب وأعطاها آنية من ذهب وفضة وثيابًا وتحفًا لأخيها وأمها ثم طلب إليهم أن ينصرف سريعًا ووافقته رفقة على التعجيل بالمسير ، فذهب بها إلى ديار سيده وكانت عزاء لإسحاق بعد موت أمه ، ثم إن رفقة ولدت توأمين هو عيصو ويعقوب وكان خروجهما من بطنها بهذا الترتيب وكان عيصو في كبره مغرمًا بالصيد ويعقوب وادعًا فأحب إسحاق عيصو وأحبت رفقة يعقوب وكان في ذلك الزمن للبكر امتياز على غيره في الميراث بحق البكورية .

وتزعم التوراة المحرفة أن يعقوب قدم لأخيه وجبة عدس مقابل التنازل له عن حق البكورية وأن إسحاق عليه السلام أراد أن



يدعو لعيصو ويباركه فجاءته زوجه بيعقوب فدعا له وباركه وهو يظنه عيصو وكان قد ضعف بصره - يعني إسحاق - وهذا من الكذب والتجنى على الأنبياء وآل بيتهم .

* تغرب إسحاق :

ذكر في التوراة أنه حصل جوع في الأرض كما حصل في عهد إبراهيم ، وتغرب في حرار عند أبي مالك ، وقالت رفقة عن زوجها إسحاق أنه أخي وهو أيضًا قال أختي .. ورأى الرجل إسحاق يلاعبها فعلم أنها زوجته ، فعاتب إسحاق وحصل ما حصل في شأن إبراهيم وسارة ، وما ذكر أيضًا إن إسحاق قد كثرت أمواله وعبيده وحفر آبارًا .

* موت إسحاق :

وفيها أن إسحاق عاش مائة وثمانين سنة ، ودفن في حبرون وهي مدينة الخليل اليوم وبمفازة المكفيلة .

قال رسول الله ﷺ : « **لا تصدقوا أهل الكتاب ولا**

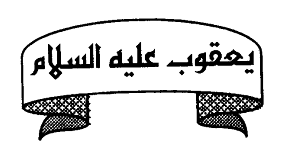
تكذبوهم » .

ومعنى ذلك أن روايات أهل الكتاب إذا لم يكن يعلم صدقها من كذبها فـلا نصدقها ولا نكذبها وإن كانت رواياتهم مـوافقة لما عندنا من الكتاب والسنة فنصـدقهم وإن كانت معـارضة لما عندنا من الكتاب والسنة فنكذبهم .

ومما هو جدير بالذكر أن المسلم يعتقد بـعصمة الأنبـياء ، وأنهم على خلق عظيم فإذا قرأ عـند أهل الكتاب ما يناقض ذلك فلا يصـدقه لأن الكتب السـابقة على القـرآن تعرضت للتـحريف والتبـديل والتغـيير أمـا القرآن فـقد حفظه الله تعـالى وتكفل أن يحفظه سبحانه وتعالى حيـث قـال : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ .

* * *





ورث يعقوب عليه السلام عن أبيه النبوة والحلم والعلم والصبر الجميل ، وغير ذلك من صفات المهابة والجلال ، فحقد عليه أخوه - عيصو - وأضمر له شرًا فخاف يعقوب من أن يقتله فرحل إلى حاران في فدان آرام عند خاله لابان أخي رفقة وهو ابن ناحور .

وبعد أن وصل إلى خاله لابان واستقر به المقام زوجه خاله بنته الكبرى ليئة ، ثم زوجه أختها الصغرى راحيل ، فاجتمعتا عنده معًا ، وكان الجمع بين الأختين جائزًا في شريعتهم .

وخدم يعقوب خاله لابان عشرين سنة ثم رحل قافلاً إلى فلسطين ، فسكن في شكيم حيث اشترى أرضًا هناك ثم أتى بإلهام إلهي - بيت إيل - ثم اتجه إلى بلدة إفرانة التي سميت فيما بعد ببيت لحم ، فولدت راحيل بنيامين وماتت هناك ، ثم ارتحل إلى حبرون - مدينة الخليل الآن - حيث أبوه إسحاق فيها، ثم إلى شيلون ، وفيها سكن إلى زمن حادثة ولده يوسف ، ثم رحل

لمصر ، وبها توفي بعد سبع عشرة سنة .

وقد عاش يعقوب عليه السلام مائة وسبعًا وأربعين سنة ، ودفنه يوسف وإخوته أبناء يعقوب في حبرون بفلسطين ، ودفنوه في الغار الشريف ورجعوا حيث أولادهم ومعيشتهم .

وقد ولد يعقوب عليه السلام قبل نبينا عليه الصلاة والسلام بنحو (٢٤٠٧ سنة).

* أولاد يعقوب عليه السلام :

كان ليعقوب عليه السلام من الولد اثنا عشر ولدًا .

ستة من « ليئة » وهم : راوبين ، وشمعون ، ولاوي ، ويهوذا ، ويساكر ، وزبلون ، واثنان من جاريته بلهة وهما : دان، ونفتالي .

واثنان من جاريته الأخرى زلفة وهما : جاد ، وأشير ، واثنان من أحب النساء إليه « راحيل » وهما : يوسف وبنيامين .

وليعقوب عليه السلام اسم آخر في القرآن وهو إسرائيل ومعناه عبد الله .

* ما حرم إسرائيل على نفسه :

قال تعالى :

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٣]

وقد حرم إسرائيل على نفســه إن شفاه الله من مرض ألم به لحم الإبل وألبانها .

نستكمل قصة يعقوب من خــلال قصة يوسف عليهما السلام لأن قــصــة يعـقوب لا تـنفصــل عن قصــة ابنه يــوسف نبي الله ورسوله.

ومن خلال قصة يوسف سيتبين مزيد من أخبار يعقوب عليه السلام .

وسنرى كـيف قص عليه يوسف عليـه السلام رؤياه وكـيف طلب إخوة يوسف من أبيهم يعقوب أن يترك يوسف يذهب معهم في رحلاتهم وكيف فـقد يوسف وحزن عليه يعـقوب حتى ذهب بصره، وكيف ارتد إليه بصره عندمـا ألقي عليه قميص يوسف ، ثم فقد بنيامين أخي يوسف.

ثم رحلة يعقوب إلى مـصر للقاء يوسف عليـه السـلام بعـد أن صار مـسئولاً عن تموين مصـر ومعيشـة يـعقـوب وأبنائـه فـي مصـر واسـتقـرارهم فيهـا حتى خـرج موسى عليه الـسلام ببني إسرائيل من مصر بعد حوالي (٧٠٠ سنة) من مـقامهم وعيشهم في مصر .

